



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"تَزْرِيع" هو النص الأسبوعي الرابع من كتاب "قَيِّقْرا" (أي سفر اللاويين)، ويبدأ هذا النص من الآية الأولى من المقطع الثاني عشر، وينتهي بالآية التاسعة والخمسين من المقطع الثالث عشر.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

ثَمْنُ حُرِّيَّةِ التَّغْيِيرِ

كانت هانا سميت طالبة في الرابعة عشرة من عمرها تعيش في مدينة لوترورث (Lutterworth) بمقاطعة ليسترشير (Leicestershire) في المملكة المتحدة. كانت ذكية وودودة، وتستمتع بعيش حياة اجتماعية نشطة، وكان يبدو أن مستقبلًا واعدًا في انتظارها. غير أنه في صباح الثاني من آب/أغسطس عام 2013، عُثِرَ عليها مشنوقة في غرفتها. للأسف، أنهت الفتاة الصغيرة حياتها.

وبينما كانت أسرتها تسعى إلى فهم ما حدث، اكتشفت سريعًا أنها كانت هدفًا لمنشورات مسيئة مجهولة الهوية على أحد مواقع التواصل الاجتماعي. لقد كانت هانا سميت ضحية لأحدث نسخة من أقدم قصة في التاريخ البشري: استخدام الكلمات كسلاح لإلحاق الأذى بالآخرين، واليوم، تُعرَفُ النسخة الجديدة من هذه الظاهرة بـ "التنمر الإلكتروني".

والتعبير اليهودي الذي يصف هذا النوع من السلوك هو "لَشُون هَرَاغ"، أي "الغيبة والنميمة"، والكلام عن الآخرين بطريقة سيئة أو فيها احتقار أو ازدراء لهم. ويعني ذلك، ببساطة، التحدث بسوء عن الآخرين، وهو يندرج ضمن النهي التوراتي عن "نشر النميمة"، كما ورد في الآية السادسة عشرة من المقطع التاسع عشر من سفر اللاويين. وعلى الرغم من أنه لم يُخصَّص له في التوراة نهْيٌ مستقل بذاته، فقد عدّه حُكماء اليهود من أخبث المعاصي وأشدّها، وقالوا، على نحوٍ مدهش، إنه يُعَادِلُ في شناعته المعاصي الثلاث الكبرى وهي "عبادة الأوثان" و"القتل" و"زنا المحارم" مجتمعة، وقد قالوا أيضًا قولًا يهَمُّنا أكثر من غيره في سياق قصة هانا سميت، بأنّ هذه المعصية تقتل ثلاثة أشخاص: مُرتكبها، ومَن كان موضوع حديثها، ومَن أصغى إليها.¹

1. See Mishneh Torah, Hilkhot Deot 7:3

والصلة بين ذلك وبين النصّ الأسبوعيّ الحاليّ "تَزْرِيع" واضحة ومباشرة. إذ يتناول نصّ "تَزْرِيع" و"مِصْرَاع" ظاهرة تُسمّى التوراة "تصارعات"، وتُترجم أحياناً بـ"البرص" أو "الجذام". وقد حَيَّرَتْ طبيعَةُ تلك الحالة، وسببُ إبلائِها هذا القدر الكبير من الاهتمام في التوراة، المفسرين، الذين خلصوا إلى أنّ سبب ذلك الاهتمام بها هو لكونها عقوبةً على "لَشُون هَرَاع"، أي الكلام المسيء الذي يحتقر الآخرين. والدليل على ذلك هو قصّة ميريّام/مريم حين تكلمت باستخفافٍ عن نبي الله ورسوله موشيه/موسى "بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ (الكوشية) الَّتِي تَزَوَّجَهَا"، كما ورد في الآية الأولى من المقطع الثاني عشر من سفر العدد. لقد تولى الله عزّ وجلّ بنفسه الدفاع عن كرامة نبيّه ورسوله موشيه، فأصاب ميريّام بالبرص عقوبةً لها. ودعا موشيه ربّه أن يشفّيها، فخفّف الله عزّ وجلّ عقوبة إصابتها بالبرص إلى سبعة أيّام ولم يُلغها بالكامل. ومن هنا نفهم أنّ ذلك لم يكن بالأمر البسيط، إذ إنّ نبي الله ورسوله موشيه خصّه بالذكر من بين التعاليم التي بلّغها للجيل القادم، كما ورد في الآية التاسعة من المقطع الرابع والعشرين من سفر التثنية: "وَأَذْكُرُ عَلَى مَا صَنَعَ، اللَّهُ رَبُّكَ يَمِيزُ يَوْمَ مِثْلَهُ، فِي الطَّرِيقِ فِي خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ" (انظر تفسير ابن عزرا في الموضوع نفسه).

ومن المفارقات، كما يذكر الحكماء، أنّ نبي الله ورسوله موشيه وقع، لبرهه، في الذنب نفسه عند العليقة المُشتعلة (الكلمة المذكورة في التوراة لوصف هذه العليقة هي "سنيه"). فحين كلفه الله عزّ وجلّ بقيادة بني إسرائيل أجاب، كما نقرأ في الآية الأولى من المقطع الرابع من سفر الخروج: "لَعَلَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي". فأراه الله عزّ وجلّ ثلاث آيات: ماءٌ يتحوّل لدمٍ وعصاٌ تصير حيّةً، ويدياً تصير برصاء كالثلج ثم تعود كما كانت. وقد عاد السرد التوراتي فيما بعد إلى ذكر الماء الذي تحوّل إلى دمٍ والعصا التي أصبحت أفعى، ولم يرد بعدها ذكرٌ لليد التي صارت برصاء. ولذلك، قال الحكماء - وهم شديدي الانتباه لدقائق النصّ التوراتي - إنّ اليد التي صارت برصاء لم تكن آيةً، بل عقوبة؛ وكان هذا تأديباً إلهياً لنبي الله ورسوله موشيه لأنّه "رعى الأبرياء بالشك" حين قال إنّ بني إسرائيل لن يؤمنوا به. وفي باب الشُّبُوت 97 أورد أنّ الله عزّ وجلّ قال: "هم مؤمنون أبناء مؤمنين، وأمّا أنت ففي النهاية لن تؤمن".

وتتبدّى خطورة "لَشُون هَرَاع" بشكل واضح في قصة يوسف مع إخوته. فكما ورد في الآية الثانية من المقطع السابع والثلاثين من سفر التكوين أنّ يوسف جاء بـ"ديباه"، أي بقولٍ سوءٍ ونميمةٍ مُغرِضة، إلى أبيه بشأن بعض إخوته. ولم تكن تلك وحدها الشرارة التي دفعت إخوته إلى التآمر على قتله، قبل أن تفضي الأحداث إلى بيعه عبداً، إذ اجتمعت دوافع أخرى لديهم، لكن أقلّ ما يُقال أنّ وشايته بهم لم تُقرّبهم منهم. ولاحقاً، في حادثة لا تقلّ كارثيّة، تستخدم التوراة الكلمة ذاتها "ديباه" لوصف الأخبار السيئة التي عاد بها رجالٌ من بني إسرائيل بعد استطلاعهم أرض كنعان، بينما كان بنو إسرائيل لا يزالون في الصحراء، كما ورد في الآية الثانية والثلاثين من المقطع الثالث عشر من سفر العدد. وحتى بعد أن دعا موشيه الله عزّ وجلّ طلباً للمغفرة، أجلّ الخبرُ الذي عاد به الرجال دخول بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة (أي أرض كنعان) قرابة أربعين سنة، وحكمتُ حادثة الرجال على جيل بأسره أن يموت في البرية.

ويبرز هنا سؤالٌ مهمّ: لماذا تشدّد التوراة إلى هذا الحدّ تجاه "لَشُون هَرَاع"، فتعذّه من أسوأ المعاصي؟ إنّ لذلك جذوراً عميقة في الفهم اليهوديّ لله عزّ وجلّ ولحقيقة الإنسان. فاليهودية ليست في جوهرها ديانةً تتمحور حول الأشخاص المُقدّسين أو الأماكن المُقدّسة، بقدر ما هي ديانةٌ تولي أهميةً بالغةً للكلمات المقدسة؛ فقد خلق الله عزّ وجلّ الكونَ بالكلمات، بكلمات الخلق: "وقال الله: 'ليكن... فكان'، وقد تجلّى الله بالكلمات: فكلم الآباء والأنبياء، وعلى جبل سيناء كلم الشعب بأسره. وإنّ إنسانيتنا نفسها وثيقة الصلة بقدرتنا على استخدام اللغة. وقد ورد وصفُ التوراة لخلق الإنسان في الآية السابعة من المقطع الثاني من سفر التكوين: "وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، تَرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ الْحَيَاةِ، فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً (نَاطِقَةً)"، وكما رأينا في نصّ سابق، تُرجمت "نفس حيّة" في ترغوم (أي ترجمة أنكلوس) إلى "نفس ناطقة". فاللغة هي حياة، والكلماتُ خَلافة، لكنّها قد تكون مُدمرةً أيضاً. وإذا كانت الكلماتُ الصالحة مُقدّسة، فإنّ الكلماتِ الشريرة تدنيسٌ لاسم الله عزّ وجلّ.

إن أحد الأدلة على مدى الجدية التي توليها اليهودية لهذا الأمر هو الدُّعاء الذي نردده في ختام صلاة الوقوف (أي صلاة الـ"عميداه" باللغة العبرية)، ثلاث مرّات في اليوم على الأقل: "إلهي، احفظ لساني من الشرّ وشفّني من كلام الغشّ. ولمن يلعنني لتصنّف نفسي؛ ولتكنّ نفسي كالغبار لكل إنسان". فبعد أن نكون قد بدأنا هذه الصلاة بقولنا: "يا رب، افتح شفّتي فيخبر فمي بتسبيحك"، نختمها بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ أن يُعيننا على إغلاق شفّتنا، كي لا نتكلّم بالسوء على الآخرين، ولا نردّ إذا تكلم الآخرون علينا بسوء.

ومع ذلك كلّ، على الرغم من نهّي التوراة عن النميّة، وعلى الرغم من القصص التي وردت فيها عن يوسف ونبيّ الله ورسوله موشيه ومiriam والرجال الذين أرسلوا لاستطلاع أرض كنعان والعودة بأخبار عنها، وعلى الرغم من أنّ الحكماء شدّدوا على تحريم وذرّ "لشون هراع" بشكل صارم وغير مسبوق، فقد ظلّت هذه الآفة مشكلة قائمة عبّر التاريخ اليهودي، ولا تزال. وكلّ قائّد هو عرضة لها وهدف لسهامها. وقد قال الحكماء إنّ نبيّ الله ورسوله موشيه عندما كان يخرج من خيمته مبكراً في الصباح، كان بعض الناس يقولون: "انظروا، لقد تشاجر مع زوجته". وإن خرج متأخراً كانوا يقولون "إنّه يتأمر علينا" (تفسير الحاخام شلومو يتسحاقي المعروف بـ"راشي" للآية الثانية عشرة من المقطع الأوّل من سفر التثنية).

يتعيّن على أيّ شخص يطمح إلى القيادة، من الرئيس التنفيذي إلى الأب والأم، أن يواجه ظاهرة "لشون هراع". فقبل كلّ شيء، قد يضطرّ القائد أن يدفع ثمن أيّ إنجاز يقوم به بأن يكون ضحية لهذه الظاهرة، فهناك دائماً من يحسّد نجاحات الآخرين وينشر النمام. وأولئك يستمدّون شعورهم بذواتهم وقيمتهم بالحظّ من قدير الآخرين. لذا، إذا كنت في أيّ موقع قيادي مهما كان نوعه، فقد يتعيّن عليك التعايش مع حقيقة أنّ هناك أشخاص – من وراء ظهرك أو حتى في وجهك – سيؤجّهون إليك انتقادات خبيثة، ومزدرية، ومسيئة لسمعتك، بل قد تكون في بعض الأحيان كاذبة تماماً، وقد يكون من العسير احتمال ذلك. وبحكم معرفتي بعدد كبير من القادة في شتى المجالات، أستطيع أن أشهد بأنّ ليس كلّ الشخصيات العامة المسلّطة عليهم الأضواء يمتلكون "جلداً سميكاً"، فكثير منهم حسّاسون للغاية، وقد يُنهكهم النقد الجائر المستمرّ.

وإذا عانيت يوماً من هذا الأمر، فأفضل نصيحة تستمع إليها هي ما قاله الحاخام موشيه/موسى بن ميمون المعروف بـ"رمبام": "إذا تحرّى الإنسان الدقّة في سلوكه، وكان لطيفاً في حديثه، وتحلّى بخُلُقٍ حسنٍ مع الخلق، وكان بشوشاً إذا لقيهم، ولم يردّ الإساءة على من أساء إليه، بل آثّر الأدب مع الجميع، حتى مع من يزدرونه، فقد قدّس اسم الله، وعنه تقول الأسفار المقدّسة: 'أنت عبدي يسرائيل الذي به أتمجّد'"، كما ورد في الآية الثالثة من المقطع التاسع والأربعين من سفر إشعياء².

توضّح نصيحة الـ"رمبام" كيفيّة تعامل القائد مع كلام "لشون هراع" الموجّه إليه شخصياً، أمّا على مستوى الجماعة بأسرها، فالأمر يختلف، إذ يجب اعتماد سياسة عدم التسامح إطلاقاً مع "لشون هراع"، لأنّ السماح للناس بأن يتكلّموا بسوء عن بعضهم سيؤدّي في النهاية إلى تقويض نزاهة الجماعة وتماسكها. إذ تصنع الكلمات الخبيثة أجواءً سلبية، وتزرع داخل الجماعة بذور الشكّ والحسد. وحين توجّه هذه الكلمات إلى خارج المجموعة، فإنها تقود إلى الغطرسة، والاعتداد بالذات، والعنصرية، والتعصّب، وجميعها آفات تُدمّر المصادقيّة الأخلاقيّة لأيّ فريق. وسواء كنت أنت قائد هذه المجموعة أم لم تكن، ينبغي عليك أن توضّح، بأسلوب مهذب وحازم، أن لا مكان لهذا النوع من الكلام في أحاديثك، وأنك لا تُشارك فيه ولا تُصغي إليه.

إنّ "النمّر الإلكتروني" هو أحدث تجلّيات "لشون هراع"، والإنترنت هو الوسيلة الأكثر قدرة على الإطلاق على بثّ خطاب الكراهية؛ فهو لا يُسهّل توجية رسائل مباشرة إلى أشخاص محدّدين فحسب، بل يتجاوز أيضاً اللقاء وجهًا لوجه الذي قد يُشعر الإنسان أحياناً بالخجل، ويجعله يراعي مشاعر الآخرين ويضبط نفسه. وتردّ في الأساطير اليونانية

2. Mishneh Torah, Hilkhoh Yesodei HaTorah 5:11.

قصّة خاتم غيغس الذي كان له قدرةٌ سحريةٌ تُخفي من يرتديه، فيفلت من العقاب على أفعاله مهما كانت.³ وتُعدُّ منصّات التواصل الاجتماعيّ - التي تُتيح للناس نشرَ تعليقاتٍ مجهولةٍ أو فتح حساباتٍ بهوياتٍ غير حقيقيةٍ - أقرب ما تمّ التوصل إليه حتّى الآن في اختراع "خاتم غيغس"، وهنا مكمنُ الخطر.

إنّ قصّة هانا سميت هي تذكيرٌ مأساويٌّ بمدى صوابِ الحكماء حين رفضوا الفكرة التي تقول: "الكلمات لا يُمكن أن تُؤذي أبداً"، وحين أصروا، على عكس هذه الفكرة، على أنّ الكلمات الخبيثة قادرة على قتلٍ من توجّه إليه! فـ"حرّيّة التعبير" ليست كلاماً بلا عواقب، بل كلاماً يحترم حرّيّة الآخرين وكرامتهم. وإذا نسينا هذه الحقيقة، فستصبح حرّيّة التعبير باهظة الثمن حقّاً.

ويساعدنا هذا كلّ على فهم ظاهرة الـ"تصارعات"، فالخاصية الغريبة لهذه الظاهرة - سواء ظهرت كمرضٍ جلديٍّ، أو تغبّر في لون الثياب، أو عفنٍ على جدران البيت - أنّها واضحةٌ للعيان على الفور وبشكلٍ لافت. والناسُ يخطرُون في ممارسة "لشون هراع" لأنّهم، تماماً كمن يرتدي خاتم غيغس، يظنّون أنّهم سيفلتون من العقاب: "لم أكن أنا... لم أقل ذلك... لم أقصد قول ذلك... لقد أسيءَ فهمي". غير أنّ التوراة تقول لنا إنّ الكلام الخبيث الذي يُقال في الخفاء يجب أن يُوصم علناً، وأنّ المتورّطين فيه ينبغي أن يُشهرَ بهم أمام الملأ.

ويُمكن أن نُوجز المعنى بأبسط طريقة، قائلين: كما نُعاملُ الناسَ يُعاملنا الله عزّ وجلّ. فلا يُمكن أن نتوقّع أن يكون الله لطيفاً بمن لا يُلطفُ بعباده. ويتحمّل القادة مسؤولية تجسيد هذه القيم في سلوكهم، وعليهم أن يُسهموا في خلق بيئاتٍ لا تتسامح أبداً مع الكلام الخبيث و"لشون هراع".

3. See Plato, The Republic, 359a–360d.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Facebook Twitter Instagram LinkedIn YouTube | RABBISACKS.ORG